والشيش ، بل وكان الدراويش يعتقدون ان الشيخ لافي الصغير « متصل » رغم صغر سنة ، لكثرة ما كان « يغيب » اثناء الذكر ، وانطلاق لسانه «بالسنسكريتي» الى حد ان خاله الشيخ المبروك كان يعجز عن مجاراته في فهم كل ما كان يقوله وهو « غائب » ، ولا يستطيع « الاتصال » به وتهدئته ، بينما كان هو ، يفهم كل ما كان يقوله خاله الشيخ المبروك ، حين كان « يغيب » ويطول « اتصاله » به عز وجل ، فيداريه الى ان يهدئه ، ويمسح وجهه بالرحمن ٠

ولان الشيخ المبروك احمد الحمد ، خال الشيخ لافي ، كان قد حلل الغزو على املاك ومواشي « الفاسقين » حافظ باشا وفؤاد افندي السعد ، و « احواشهم » في قرى مرج ابن عامر ، بل وعلى املاك ومواشي كل دار السعد وعبد الهادي ومن لف لفهم من دار جرار والعبوشي ، وقطع الطريق على قوافل غلالهم المتجهة الى عكا وبلاد الشام ، بعد ما طوب السلطان عبد الحميد اراضي البارد على اسمهما ، ولم يبق لاهل البارد شبر ارض في المرج يدفنون امواتهم فيه ، فقد تحول رجال البارد كلهم مثل الكثيرين من اهالي اليامون وكفردان والسيلة ، الى « رجال ليل » ٠ ولكي لا يظن الاخرون ان « عليهم الطبة وللدراويش الجبة » ، كان الشيخ المبروك يشبك « دمايته » بحزامه بعد صلاة العشاء ، ويحمل عصمليته ، ويمشي امامهم ، « ويا بطن ما خلفت حدا احسن من حدا ٠ وهااللي بجيبه الطير الك وللغير ، وان جاب جاجة وللا قماجة لكل ثم حصته ، وعلى سنة الله ورسوله » ٠ وما ان بلغ الشيخ لافي السادسة عشرة من عمره ، حتى كان « شيخ الشباب وسيد من غاب وجاب ٠٠ واسمه وين ما طب يسبقه » ٠

□

ولكن الشيخ لافي ما كاد يصل التاسعة عشرة من عمره ، حتى كان قد تغير، ولم يدر احد ما الذي حصل له فجأة ،فقد فارقه الفرح ، وغابت تلك البسمة التي كانت ترف على شفتيه حين كان يمسك بالصنج ويتربع في صدر الزاوية الى جانب الشيخ المبروك ، ويرفع صوته الجميل موشحا بذكر الرسول « صلى الله عليه وسلم » ، وزوجته السيدة خديجة ٠

ويروي الشيخ محمود الحمد عن ابيه الشيخ المبروك احمد الحمد ، ان الشيخ لافي اصبح كلما اتى على ذكر السيدة خديجة ، كان يصمت ، ثم يغيب وعيناه تلمعان صبابة ، وكأنه يقص حكاية تناسخت معه منذ الازل ، ثم يعود ليرفع صوته من جديد بكلام لم يسمعه احد من الدراويش من قبل ، وعيناه لا تزالان معلقتين في البعيد ، وكأنه كان يتلقى ما ينشده من وحي ينزل عليه وكلما كان يغيب في النشيد اكثر ، كلما كان صوته يرق ، وصنجه يخفت ، فتترقرق الدموع